رسالة إلى العالم العربي

ما الذي تتمناه في الرئيس الجديد؟!

للشيخ / نـدا أبو أحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

ما الذي نتمناه في الرئيس الجديد؟

تمهيد

إن الحمد لله تعالى نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، مَن يهد الله فلا مضل له، ومَن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . . . . .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (سورة النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (سورة الأحزاب: ٧٠،٧١)

***أما بعد*....،**

فإن أصدق الحديث كتاب الله – تعالى– وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ففي ظل الأحداث الجارية يفرض هذا السؤال نفسه، **ما الذي نتمناه في الرئيس الجديد؟**

ولكل إنسان مِنَّا تصوّره وأحلامه وأمانيه في الضيف الجديد، لكن أتمنَّى أنا وغيري أن يكون من الصالحين، فبصلاحه تنصلح الأُمَّة.

واقتصرتُ على هذه الصفة (صفة الصلاح)؛ لأن الأنبياء وصفوا النبي ﷺ في رحلة الإسراء والمعراج بهذه الصفة واقتصروا عليها.

فعندما مرَّ النبي ﷺ على آدم وإبراهيم ـ عليهما السلام ـ قالا لنبي الله ﷺ:

"مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح".

وعندما مرَّ النبي ﷺ على سائر الأنبياء، قالوا له:

"مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح"

فاقتصر الأنبياء على وصفه بهذه الصفة، وتواردوا عليها؛ وذلك لأن الصلاح صفة تشمل خِلال الخير كلها.

والصالح هـو: الذي يقوم بما يلزمه من حقوق الله وحقوق العباد، فمِن ثمَّ كانت كلمة جامعة بمعاني الخير، فالرئيس الصالح تنصلح به أحوال البلاد.

يقول سفيان الثوري – رحمه الله – كما في "حلية الأولياء":

" صنفان إذا صَلُحا صَلُحَت الأُمَّة، وإذا فسدا فَسدت الأُمَّة، السُلطان والعلماء " .

ويقول الإمام أحمد – رحمه الله –:

"لو كانت لي دعوةُ مستجابة لجعلتها للسلطان؛ لأن بصلاحه صلاح الأُمَّة".

وكذلك قال الفضيل – رحمه الله –:

"لو كانت عندي دعوة مستجابة لم أجعلها إلا في الإمام، فإنه إذا صَلُحَ الإمام صلُحت البلاد وأَمِن العباد، فقام ابن المبارك فقبَّل رأسه، وقال: أحسنتَ يا مُعلِّم الخير".

ويبقى السؤال ما الذي نتمناه في الرئيس الجديد؟؟

(١) نتمنَّى أن يَمُنَّ الله علينا برئيس يدعو إلى التوحيد، ويُطهِّر البلاد من الشرك، ويُقيم دين الله تعالى بين العباد:

قـــال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١]

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – كما في "السياسة الشرعية" صــ٣١:

ومتى اهتمت الولاة بإصلاح دين الناس، صلح للطائفتين دينهم ودنياهم، وإلا اضطربت الأمور عليهم.

وقال أيضاً – رحمه الله – صــ ٢٩ – ٣٠:

فالمقصود: الواجب بالولاة إصلاح دين الخلق الذي متى فاتهم خسروا خسراناً مبيناً، ولم ينفعهم ما نعموا به في الدنيا، ***ولهذا كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول للناس:***

"إنما بَعَثتُ عُمَّالي (الولاة) إليكم؛ ليُعلِّموكم كتاب ربكم، وسُنَّة نبيِّكُم، ويقيموا بينكم دينكم"(١)

فإذا اجتهد الراعي في إصلاح دينهم ودنياهم بحسب الإمكان، كان من أفضل أهل زمانه، وكان من أفضل المجاهدين في سبيل الله، ***فقد رُوِيَ: " يومٌ من إمام عادل أفضل من عبادة ستين سنة "***

(أهـ من كلام شيخ الإسلام باختصار).

فعلى الإمام أن يُعيدَ الأُمَّة إلى ما كانت عليه في صدرها الأول " **فلن يَصْلُحَ آخر هذه الأُمَّة إلا بما صلَح به أوَّلُها** " .

فبعد الفساد والإفساد الذي قام به "الحجاج بن يوسف الثقفي" جاء عمر بن عبد العزيز – رحمه الله – وأعاد الأُمَّة إلى سالف ذكرها، وعهدها الأول.

قال الإمام أحمد بن حنبل ــ رحمه الله ــ:

"إن الله تعالى يُقيِّض للناس في كلِّ رأس مائة سنة مَن يُعلِّمُهم السُّنن، وينفي عن رسول الله ﷺ الكذب، فنظرنا، فإذا في رأس المائة الأولى عمر بن عبد العزيز"

وكان عمر بن عبد العزيز – رحمه الله – يقول:

"لولا سُنَّة أُحييها أو بدعة أُميتها، ما باليتُ أن لا أعيش فواقاً"

وقال أيضاً – رحمه الله –: "لو كان كلُّ بدعة يُميتُها الله على يدي، وكل سُنَّة يُنعشُها الله على يدي ببضعةٍ من لحمي، حتى يأتي آخر ذلك على نفسي، كان في الله يسيراً "

(1) (أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١ / ٤١) بسند ضعيف ضعَّفه الشيخ الألباني كما في "ضعيف النسائي":٤٧٨٨) .

(٢) نتمنَّى أن يَمُنَّ اللّه علينا برئيس يحكمنا بشرع اللّه ويقيم حدوده:

وهذا فيه صلاح العباد والبلاد، وبيَّن النبي ﷺ الفضل الذي يعود على الأُمَّة من جراء تطبيق شرع الله تعالى.

فقد أخرج ابن ماجة عن عبد الله بن عمر ــ رضي الله عنهما ــ قال: قال رسول الله ﷺ:

"إقامة حدٍّ من حدود الله خيرٌ من مطرِ أربعين ليلةً في بلاد الله"

(ضعَّفه البعض، وصحَّحه الألباني في الصحيحة: ٢٣١)،(صحيح الجامع: ١١٣٩)

فلا صلاح للدنيا إلا بالدين.

وفى رواية أخرى عن ابن ماجة أيضاً والنسائي من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: **"حَدٌّ يُعمل في الأرض، خير لأهل الأرض من أن يُمطَروا أربعين صباحاً "**

(الصحيحة: ٢٣١)،(صحيح الجامع: ٣١٣٠)

الرئيس العادل الناس عنده سواء، لا يُحابي أحداً في إقامة الحدود:

فقد أخرج ابن ماجة عن عبادة بن الصامت ﷺ عن النبي ﷺ قال:

"أقيموا حدود الله تعالى في البعيد والقريب، ولا تأخذكم بالله لومةُ لائم".

ــ فالمحاباة في إقامة الحدود سبب الهلاك والفساد

ففي "صحيح البخاري ومسلم" من حديث عائشة ــ رضي الله عنها ــ قالت:

"إن قريشاً أهمَّهم شأن المخزومية التي سرقت، فقالوا: مَن يُكلِّم فيها رسول الله ﷺ ؟ فقالوا: ومَن يجترئُ عليه إلا أسامة حِبُّ رسول الله ﷺ؟! فكلَّمه أسامة، فقال رسول الله ﷺ: يا أسامة. أتشفع في حدٍّ من حدود الله؟! ثم قام فاختطب، فقال: يا أيها الناس. إنما أهلكَ الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرَق فيهم الشريفُ تركوه، وإذا سرَق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وايم الله ــ *وفى رواية:* والذي نفسُ محمدٍ بيده ــ لو أن فاطمة بنت محمدٍ سرقت لقطعتُ يدَها "

فلا محاباة... القوى كالضعيف، والشريف كالوضيع، والوزير كالفقير.

(٣) نتمنَّى أن يَمُنَّ الله علينا برئيس عادل يحكم بين الناس بالحق:

فالمُلْك والعدْل أخوان لا غِنىَ لأحدهما عن الآخر، فالعدل أساس، والمُلْك حارسه، والبناء ما لم يكن له أساس فمهدوم، والمُلْك ما لم يكن له حارس فضائع

﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ [ص: ٢٦]

قال ابن كثير ــ رحمه الله ــ في تفسير هذه الآية:

هذه وصيةٌ من الله ﷻ لولاةِ الأمور أن يحكُموا بين الناس بالحق المُنَّزلِ من عنده - تبارك وتعالى-، ولا يعدلوا عنه فَيضِلُّوا عن سبيله.

وقد توعَّد الله تعالى مَن ضلَّ عن سبيله، وتناسى يوم الحساب بالوعيد الأكبر والعذاب الشديد.

- وكذلك أمر رب العالمين الرسول الأمين ﷺ أن يحكم بالعدل

﴿ وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [المائدة: ٤٢]

- وقال تعالى على لسان رسوله ﷺ: ﴿ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ﴾ [الشورى: ١٥]

وبالجملة فإن الحكم بالعدل أمر من رب العالمين

قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [النساء: ٥٨]

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٩٠]

- بل وصل الأمر بالعدل لدرجة أن الله ﷻ أمرنا به حتى مع مَن نكره

فقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة: ٨]

جزاء وثواب الإمام العادل

وإذا أقام الإمام العدل في الناس ساد في الأرض الاستقرار، والأمن، والأمان، والحب، والوئام؛

لذا أعطاه الله من الفضائل الكثير، ومنها:-

١ - دعوته لا ترد:

فقد أخرج البيهقي في الشعب عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

"ثلاثة لا يَردُّ اللهُ دعاءَهم، الذاكرُ اللهَ كثيراً، والمظلوم، والإمام المُقسِطِ " (صحيح الجامع:٣٠٦٤)

٢ - وكفى منقبةً وفضلاً للإمام العادل أن مَن أجلَّه، أجلَّهُ اللّه، ومَن أطَاعَهُ فقد أطاعَ رسول اللّه ﷺ.

فقد أخرج الطبراني عن أبي بكرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

"مَن أجَلَّ سلطان الله، أجَلَّه اللهُ يوم القيامة " (صحيح الجامع: ٥٩٥١)،(الصحيحة ٢٢٩٨)

وأخرج الترمذي عن أبي بكرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

"مَن أهان سُلطان الله في الأرض، أهانه الله " (صحيح الجامع:٦١١١)،(الصحيحة: ٢٢٩٦)

وأخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال:

"مَن أطاعني فقد أطاع الله، ومَن عصاني فقد عصى الله، ومَن يُطع الأمير فقد أطاعني، ومَن يعصِ الأمير فقد عصاني".

٣ - أنه من جملة السبعة الذين يظلُّهم اللّه في ظلّه يوم لا ظلَّ إلا ظله:

ففي الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال:

"سبعةُ يُظلُّهم الله تعالى في ظلّه يوم لا ظلَّ إلا ظله: إمام عدل... " الحديث

قال ابن حجر ــ رحمه الله ــ: "وقدّمه في الذكر لعموم النفع به "

وقال ابن الجوزى ــ رحمه الله ــ في كتابه "الشفاء من مواعظ الملوك والخلفاء" صــ٢٣:

ومتى يسلم السلطانُ من الحيف لم يُزاحَم في فضيلته، وتزيدُ مرتبةُ السلطان العادل على قُوَّام الليل، وصُوَّام النهار؛ لأن نفع أولئك لا يتعداهم ونفعه يتعدى، إذ بنظره يتعبدُ المتعبدون، ويسافر التاجرون، ويشتغل بالعلم المُتعلِّمون، فكأنه عَبَدَ الله بعبادة الكُلِّ "

٤ – بل سيكون في الجنَّة على منبر من نور على يمين رب العالمين:

فقد أخرج الإمام مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – قـــال: قال رسول الله ﷺ: **" إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن ﷻ وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حُكمهم وأهليهم وماولُوا "** ***وضبطت:*** **"وما وُلُّوا ".**

وإذا أردنا أن نضرب مثالاً للإمام العادل، فلا نجد أفضل من سيد الخلق، وحبيب الحق، وإمام المتقين، وسيد الناس أجمعين الحبيب الأمين ﷺ.

فها هو النبي ﷺ يجلس عن يمينه ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ وهو غلام، ويجلس عن يساره أبو بكر ﷺ وهو مَن؟ ثاني اثنين إذ هما في الغار، فهو له المنزلة العالية، والسبق في الإسلام، وهو أحبُّ الناس لرسول الله ﷺ:

فجيء بقدح، فشرب منه النبي ﷺ، ومِن حقِّ العطاء أن يكون لمن على اليمين، فلم يعطِ لأبى بكر مع طول صحبته، وعلو منزلته، وعظيم مِنِنِه، قبل ابن عباس مع حداثة سِنِّهِ، لكن قال لابن عباس: الحق لك، ولكن هل تأذن لأبي بكرٍ فيشرب قبلك؟

فيقول ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ: والله لا أوثر على سُؤرك أحداً يا رسول الله، فيناوله النبيُ ﷺ، فيشرب قبل أبي بكر".

بل انظر لهذا الموقف الجليل الذي يدل على عدل الرسول الأمين ﷺ:

لقد بلغ العدل بالنبي ﷺ أن يُقدِّم نفسه للقصاص، موقف عجيب يعجز الإنسان عن وصفه، والعقل عن إدراكه.

"فبينما الرسول ﷺ يُعدِّلُ صفوف جيشه يوم بدرٍ، مَرَّ بسوادِ بن غُزَيّة مستنصلاً من الصف – خارج عن الصف – فطعن في بطنه بالقدح، وقال: استوِ يا سواد، فقال سواد: أوجعتني يا رسول الله فأَقِدْنى – خذ لي بالحق من نفسك – فكشف الحبيب ﷺ عن بطنه، وقال: استَقِدْ، فاعتنقه سواد وقبّل بطنه، فقال النبي ﷺ: ما حملك على هذا يا ســواد، قال سواد: يا رسول الله قد حضر ما ترى، فأردتُ أن يكون آخر العهد بك أن يمسَّ جلدي جلدك، فدعا له رسول الله ﷺ بخير".

(رواه الطبراني ورجاله ثقات على ما في عبد الله بن جبير من ضعف كما جاء في التهذيب)

(٤) نتمنَّى أن يَمُنَّ الله علينا برئيس يخاف من ظلم العباد:

فإن الظلم ظلمات يوم القيامة

وليكن قدوته سيد الأنبياء، وإمام الأتقياء، فهو سيد الخلق، وحبيب الحق، ومع هذا يخاف من ظلم الناس.

فقد أخرج ابن ماجة عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال:

" إني لأرجو أن أفارِقَكُم ولا يطلُبني أحدٌ منكم بمظلمةٍ ظلمتُه " (صحيح الجامع: ٢٤٨٠)

وقد مرَّ بنا موقف سواد بن غزُيَّة، عندما قدَّم النبيُ ﷺ نفسه للقصاص.

وأخرج الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجة عن أنس ﷺ قال:

"لما علا السعر في عهد رسول الله ﷺ، قالوا: يا رسول الله سَعِّر لنا، فقال رسول الله ﷺ: "إن الله تعالى هو الخالق، القابض، الباسط، الرازق، المُسعِّر، وإني لأرجو أن ألقَى الله، ولا يطلبني أحدٌ بمظلمةٍ ظلمتُها إياه في دمٍ ولا مال"

فكان الحبيب المصطفى ﷺ إذا خرج من بيته يستعيذ أن يظلم أحداً

فقد أخرج أهل السنة من حديث أم سلمة – رضي الله عنها – قالت:

"كان رسول الله ﷺ إذا خرج من بيته، قال: "بسم الله توكَّلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، اللهم إني أعوذ بك أن أضلَّ أو أُضَل، أو أَزِلَّ أو أُزل، أو أظلِمْ أو أُظلَم، أو أجْهَل أو يُجهَل عليّ".

فمن باب النصيحة الإشفاق، نقول لكل من يُولِّيه الله أمرنا: إياك و الظلم

وقد كان النبي ﷺ يخاف علينا من ظلم السلطان، فبظلمه يكون فساد العباد والبلاد.

أخرج الإمام أحمد والطبراني في "الكبير" عن جابر بن سمرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:

"ثلاث أخاف على أُمَّتي: الاستسقاء بالأنواء، وحيفُ السلطان، وتكذيب بالقدر"

(صحيح الجامع: ٣٠٢٢)،(الصحيحة ١١٢٧)

جــزاء الســلـطــان الجــائر (الظالم)

وحيث إن جور السلطان وفساده يكون فيه فساد البلاد والعباد، توعَّده الله بالوعيد الشديد

١ - الإمام الجائر يبغضه الله:

فقد أخرج النسائي والبيهقي في "شعب الإيمان" عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:

"أربعةٌ يبغضهم الله تعالى: البيَّاعُ الحلاَّف، والفقير المختال، والشيخ الزاني، والإمام الجائر" (صحيح الجامع: ٨٨٠)،(الصحيحة: ٣٦٣)

٢ - الإمام الجائر لن تناله شفاعة النبي ﷺ:

فقد أخرج الطبراني في "الكبير" عن أبي أمامة ﷺ عن النبي ﷺ قال:

"صنفان من أُمَّتي لن تنالهما شفاعتي: إمام ظلوم غِشوم، وكلُّ غالٍّ مارق"

(صحيح الجامع: ٣٧٩٨)،(الصحيحة: ٤٧١)

٣ - الإمام الجائر من أشدِّ الناس عذاباً يوم القيامة:

فقد أخرج أبو يعلى في "مسنده" والطبراني في "الأوسط" عن أبي سعيد ﷺ عن النبي ﷺ قال: " أشدُّ الناس عذاباً يوم القيامة إمامٌ جائر ". (صحيح الجامع: ١٠٠١)

قال تعالى: ﴿ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [الإنسان: ٣١]

وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقًا ﴾ [الكهف: ٢٩]

دخل طاووس اليماني ـ رحمه الله ـ على هشام بن عبد الملك، فقال له:

"اتق يوم الأذان، قال هشام: وما يوم الأذان؟ قال طاووس: **قوله تعالى:** ﴿ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ [الأعراف:٤٤]، فصعق هشام، فقال طاووس: هذا ذُلّ الصفة، فكيف المعاينة؟

(الزواجر:٢/٢٥٨)

فليحذر السلطان، وكل من يلِي أمراً من أمور المسلمين مِن ظلم مَن لا ناصر لهم إلا الله.

قال معاوية أمير المؤمنين ﷺ:

"إنـي لأستحي أن اظلمَ مَن لا يجد علّي ناصراً إلا الله "

وقال يزيد بن حكيم:

ما هبت شيئاً قط هيبتي من رجل ظلمتُه، وأنا أعلم أن لا ناصر له إلا الله، فيقول: حسبك الله، والله بيني وبينك"

فليحذر كل من ولِيَ أمراً من أمور المسلمين دعوة المظلومين، فإن دعوة المظلوم سهم صائب، وخصم غالب، وليعلم الظالم أن المظلوم إذا قعد به ضعفه، وأعيت حيلته، وعجز عن الناصر من البشر والمعين رفع أكفَّ الضراعة إلى رب العالمين، فألحَّ في الدعاء، وألحَّ عليه بالرجاء، رفع الله دعوته فوق الغمام، وفتح لها أبواب السماء، فنظر في حاجته، وأقسم بجلاله وعزته؛ لينصرنه ولو بعد حين.

١- ***أرسل الأميرُ نوحٌ إلى أهل سمرقند كتاباً يأمر فيه بأخذ الخراج منهم***

فجمع أميرها الفقهاءَ، وقرأ عليهم رسالة الأمير، فقال له أبو منصور الفقيه: قد بلغت رسالة الأمير فأردد عليه الجواب: " زدنا ظلماً حتى نزيد في دعاء السحر، فلم تمضِ أيام حتى وجدوه مقتولاً، وفى بطنه رمح مكتوب عليه.

بغى والـــبغيُ ســـهامٌ تـــنتظر — رمتـــه بأيدي المنـــايا والقدر
سهام أيدي القانتات في السحر — يرمين عن قوسٍ له الليل وتر

٢- ***وذكر ابن حجر الهيتمي في كتابه "الزواجر":***

إنه لما حُبِسَ خالدُ بنُ يرمك وولدُه، قال: يا أبتِ بعد العز صرنا في القيد والحبس، فقال: يا بُنَيّ دعوةُ مظلومٍ سرت بليلٍ غفلنا عنها ولم يغفل اللهُ عنها.

لا تظلمنَّ إذا ما كنت مقتدراً — فالظلم ترجع عقباه إلى الندم
تنامُ عيناك والمظلـــوم منتبهٌ — يدعو عليك وعينُ اللهِ لم تنم

٣- وذكر الذهبي في كتابه "الكبائر" قصة مفادُها:

أن جباراً من الجبابرة بنى قصراً وشيَّده، فجاءت عجوزٌ فقيرة، فبنت إلى جانبه كوخاً تأوي إليه، فركب الجبَّار يوماً وطاف حول القصر، فرأى الكوخ فقال: لمَن هذا؟ فقيل: لامرأة فقيرة تأوي إليه، فأمر أن يُهْدَم، فهُدِم، فجاءت العجوز فرأته مهدوماً، فقالت: مَن هدمه؟ فقيل: الملك رآه فهدمه، فرفعت العجوز رأسها إلى السماء (رفعت رأسها، ومدَّت يدها إلى قبلة المستضعفين والمظلومين) وقالت: يا رب إذا لم أكن حاضرة، فأين كنتَ أنتَ؟ أي: إذا كنت غائبة، فأنت شاهد لا تغيب

قال: فأمر الله جبريل أن يقلبَ القصر على مَن فيه، فقلبه.

فيا أيها الظالم...

تَوقَّ دعا المظلوم إنَّ دعـــاءه ... يُرْفَع فوق السحب ثم يجابُ
تَوقَّ دعا مَن ليس بين دعائه ... وبين إلـــه العالمين حجابُ
ولا تحسبنَّ الله مُطرِحاً له ... ولا أنه يخفَى عليه خطـــابُ
فقد صحَّ أن الله قـــال: وعزتي ... لأنصرنَّ المظلوم وهو مثابُ
فمن لم يصدق ذا الحديث فإنه ... جهـــول وإلا عقله فمصابُ

أحبتي في الله...

إن الله ﷻ لا يُقدِّس أُمَّةً لا يُنْصَر فيها الضعيف، ولا يُؤْخَذ فيها على يد الظالم

فقد أخرج ابن ماجة بسند حسن عن جابر ﷺ قال:

"لما رجعت إلى رسول الله ﷺ – مهاجرة البحر – أي الذين هاجروا إلى الحبشة، قال: ألا تحدثوني بأعاجيب ما رأيتم بأرض الحبشة؟ قال فتية منهم: بلى يا رسول الله !! بينما نحن جلوس مرَّت بنا عجوز من عجائز رهبانيهم تحمل على رأسها قُلةً من ماء، فمرَّت بفتى منهم، فجعل إحدى يديه بين كتفيها ثم دفعها، فخرَّت على ركبتيها؛ فانكسرت قُلتها، فلما ارتفعت – فلما قامت – التفتتْ إليه، وقالت: سوف تعلم يا غُررَ– يا غادر – إذا وضع الله الكرسي، وجمع الله الأوَّلين والآخرين، وتكلمت الأيدي والأرجل بما كانوا يكسبون، فسوف تعلم كيف يكون أمري وأمرك عنده غداً".

نعم أيها المظلوم إذا قعد بك ضعفك، وقلَّت حيلتك، قل للظالم: "اعلم أن الموت يعُمُّنا، والقبر يجمعُنا، وأرض المحشر موقعنا، ويوم القيامة موعدنا، وسيحكم بيني وبينك أحكم الحاكمين"

فقال النبي ﷺ: **"صدقت... صدقتَ، كيف يُقدِّس الله أُمَّةً لا يُؤخَذُ لضعيفهم من شديدهم؟"**

فإذا كان ذلك كذلك هلكت الأُمَّة، وكذلك الأُمَّة التي تحابي في حكمها، فتأخذ على يد الضعيف والفقراء، وتترك أصحاب النفوذ الأغنياء

والنبي ﷺ يبين في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم فقال:

"إنما أهلك الذين مِن قبلكم، أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد"

فكان سبب هلاكهم عدم الأخذ على يد القوي الغني، صاحب النفوذ، والأخذ على يد الضعيف الفقير.

لذا كان أبو بكر ﷺ أمير المؤمنين بعد النبي ﷺ الأمين يقول:

"إن أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ له بحقه، وإن أضعفكم عندي القويَّ حتى آخذ منه الحق."

فإلى كل راعٍ استرعاه اللهُ رعية، نذكره بقول رب البرية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ (٤٢) مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾

[إبراهيم: ٤٢ – ٤٣]

وقد كان عمر بن عبد العزيز – رحمه الله – يُحذِّر عمَّاله على البلاد من ظلم العباد، فكتب إلى بعض عمَّاله فقال:

أما بعد...، إذا هممت بظلم أحد، فاذكر قدرة الله عليك، واعلم إنك لا تأتي إلى الناس شيئاً إلا كان زائلاً عنهم، باقياً عليك، واعلم أن الله آخذ للمظلوم من الظالم... والسلام.

فلا سبيل ولا نجاة للسلطان أو غيره ممَّن ولاه الله ولاية إلا بإقامة العدل

- **فإلى كل مسئول يريد النجاة، نقول:**

إياك... إياك والظلم، وعليك بإقامة العدل

فقد جاء في الحديث الذي أخرجه البيهقي في "سننه" عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: **"ما من أميرِ عشَرَةٍ، وإلا وهو يُؤتَى به يوم القيامة مغلولاً، حتى يَفكّه العدلُ، أو يُوبِقَه الجَوْرُ"** (صحيح الجامع:٥٦٩٥)،(الصحيحة: ٣٤٤)

• وسيقوده عدله ــ إن شاء الله ــ إلى أن يكون من جملة السبعة الذين يستظِلُّون بظلِّ الله ــ تعالى ــ يوم لا ظلّ إلا ظله

كما مرَّ بنا في الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ:

"سبعةٌ يُظلُّهم الله تعالى في ظلّه يوم لا ظلَّ إلا ظله، إمام عادل"

" فاللهم ولِّ علينا خيارنا، ولا تولِّ علينا شرارنا "

وكان عمر بن الخطاب ﷺ يقول:

"ويلٌ لديَّان الأرض من ديّانِ السماء يوم يَلْقَوْنه، إلا مَن أمر بالعدل وقضى بالحق، ولم يقضِ على هوى، ولا على قرابةٍ، ولا على رغبةٍ ولا رهبةٍ، وجعل كتاب الله مرآةً بين عينيه.." (أخرجه سمويه في "فوائده"، والدارمي مختصراً، وقال الألباني في مختصر العلو: إسناده صحيح)

وكان عمر ﷺ يخاف من الظلم خوفاً شديداً

يقول إياسُ بنُ سَلَمةَ حدَّثني أبي قال:

"مَرَّ عمرُ بن الخطاب – رضوان الله عليه – وأنا في السوق، وهو مارٌّ في حاجةٍ له، ومعه الدِّرَّة، قال: هكذا أمِط عن الطريق يا مسلمة، قال: ثم خَفَقني بها خفقةً، فما أصاب إلا طرف ثوبي، فأمطتُ عن الطريق، فسكتَ عنِّي، حتى كان في العامِ المقبل، فلقيني في السوق، فقال: يا سلمةُ، أردتُ الحجَّ العام؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين، فأخذ بيدي، فما فارقتْ يدي يدَه حتى دخل بي بيتَه، فأخرج كيساً فيه سُتُمائة درهم، فقال: يا سلمة. استعن بهذه، واعلم أنها من الخفقةِ التي خفقتُكَ عام أول، قلت: والله يا أمير المؤمنين، ما ذكرتها حتى ذكَّرتَنِيها، قال: وأنا والله ما نسيتها بعد."

(٥) نتمنَّى أن يَمُنَّ الله علينا برئيس لا يخلف الوعود ولا العهود، وأن يكون أميناً على أُمَّتَه:

ولقد أثنى رب العالمين في كتابه الكريم على سيدنا إسماعيل، فقال تعالى:

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴾ [مريم: ٥٤]

• **وانظر إلى صدق وعد الحبيب النبي ﷺ**

فقد أخــرج أبو داود والبيهقي وابن أبي الدنيا في كتـــاب "الصمت" عــن عبد الله بن أبي الحَمْسَاءِ قال:

"بايعتُ النبي ﷺ ببيع قبل أن يُبْعَث وبقيت له بقية، فوعدته أن آفيِه بها في مكانه ذلك، فنسيت يومي والغد، فأتيته في اليوم الثالث وهو في مكانه، فقال: يا فتى لقد شققت عليَّ، أنا هاهنا منذ ثلاث انتظرك "

ـــ **بايعت:** اشتريتُ

ـــ **بقية:** أي شيء من ثمن ذلك البيع، وكان في انتظار النبي لصدق وعده لا لقبض الثمن

• **بل كان النبي ﷺ وفيًّا بالعهد حتى مع المشركين**

فقد أخرج الإمام مسلم عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال:

"ما منعني أن أشهد بدراً إلا أني خرجت أنا وأبو حسيل، قال: فأخذنا كفار قريش، قالوا: وإنكم تريدون محمداً؟ فقلنا: ما نريده، ما نريد إلا المدينة، فأخذوا منَّا عهد الله وميثاقه، لننصرفنَّ إلى المدينة ولا نقاتل معه، فأتينا رسول الله ﷺ فأخبرناه الخبر، فقال:

ـــ وانظر ماذا قال – انصرفا، نفي لهم بعهدهم ونستعين الله عليهم"

يا له من درس عظيم يعلِّمنا فيه النبي ﷺ الوفاء بالعهد حتى مع الأعداء.

• **وقد جعل النبي ﷺ الكذب، والخُلف في الوعد، وعدم الأمانة من علامات النفاق**

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

"ثلاثٌ مَن كُنَّ فيه فهو منافق، وإن صلَّى، وإن صام وزعم أنه مسلم: إذا حدَّث كَذَبَ، وإذا وعَدَ أخْلف، وإذا ائتُمنَ خان".

وأخرج البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما – أن النبي ﷺ قال: "أربعٌ مَن كُنَّ فيه كان منافقاً خالصاً، ومَن كانت فيه خصلةٌ منهم كانت فيه خصلةٌ من النفاق حتى يدعها: إذا حدَّث كَذَبَ، وإذا وعَدَ أخْلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فَجَرَ"

فعلى كل من ولِيَ أمر المسلمين أن يكون صادقَ الوعدِ، أميناً، يفي بالعهود والوعود، حتى يبرأ من هذه الصفة المذمومة، صفة النفاق.

(٦) نتمنَّى أن يَمُنَّ الله علينا برئيس لا يغش أُمَّتَه، وينصح لهم، ولا يكذبُ عليهم:

• فكلُّ من يلِي أمر المسلمين ثم لا يَجْهدُ نفسه في النصح لهم إلا لم يدخل الجنة معهم

ففي صحيح مسلم من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

"ما من أمير يلي أمر المسلمين، ثم لا يْجهدُ لهم وينصحُ، إلا لم يدخل معهم الجنة"

وفى رواية: "ما من عبد يسترعيه الله رعية، فلم يَحُطها بنصحه، إلا لم يجد رائحة الجنة" (متفق عليه)

ـــ **يجهد**: يبذل الخير، ويجتهد في الصالح.

• ويؤكد النبي ﷺ في هذا المعنى، ويُبيِّن أنَّ مَن غشَّ رعيته حُرِّمتْ عليه الجنة ودخل النار.

ففي صحيح البخاري ومسلم عن معقل بن يسار رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

"ما من عبد يسترعيه الله رعية، يموت يوم يموت وهو غاشٌّ لرعيته، إلا حَرَّم اللهُ عليه الجنة"

ـــ **يسترعيه**: أي يُفوِّض إليه رعاية رعية

– *وفي رواية:* "ما من والٍ يلي رعيةً من المسلمين، فيموت وهو غاشٌّ لهم، إلا حرَّم الله عليه الجنة"

وأخرج ابن عساكر عن معقل بن يسار رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

"أيما راعٍ غشَّ رعيته فهو في النار " (الصحيحة:١٧٥٧)،(صحيح الجامع ٢٧١٣)

- والكذب كما نعلم نوعٌ من أنواع التدليس والغش، وهو من النفاق كما مر بنا ولقد توعد الله ﷻ كلَّ مَن يكذب على رعيته بوعيد شديد

فقد أخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:

"ثلاثةٌ لا يُكلّمهُم الله يوم القيامة، ولا يُزكّيهم، ولا ينظر إليهم، ولهم عذابٌ أليم: شيخٌ زانٍ، ومَلِكٌ كذَّاب، وعائلٌ مستكبر"

- وربما ينطبق عليه الوعيد الأكيد، والعذاب الشديد الذي ذكره النبي ﷺ في شأن من يكذِبُ الكَذِبةَ فتبلغ الآفاق

فقد أخرج البخاري من حديث سمرة بن جندب ﷺ قال:

"كان رسول الله ﷺ يعني مما يكثر أن يقول لأصحابه: "هل رأى أحد منكم من رؤيا؟ قال: فيقصُّ عليه من شاء الله أن يقصَّ، وإنه قال لنا ذات غداة: إنه أتاني الليلة آتيان، وإنهما ابتعثاني، وإنهما قالا لي: انطلق، وإني انطلقت معهما، وإنا أتينا على رجل مضطجع، وإذا آخر قائم عليه بصخرة.. *فذكر الحديث وفيه:*

"فانطلقنا، فأتينا على رجل مستلق لقفاه، وإذا آخر قائم عليه بكلوب من حديد، وإذا هو يأتي أحد شقي وجهه فيُشرْشِر شدقه إلى قفاه، ومنخره إلى قفاه، وعينه إلى قفاه، ثم يتحول إلى الجانب الآخر فيفعل به مثلما فعل بالجانب الأول، فما يفرغ من ذلك الجانب حتى يصحَّ ذلك الجانب كما كان، ثم يعود عليه فيفعل مثلما فعل المرة الأولى".

(٧) نتمنَّى أن يَمُنَّ الله علينا برئيس يرفق بالرعية ولا يشق عليهم:

فحقٌّ على مَن ملَّكه الله أمور خلقه، واختصه بإحسانه، ومكَّن له في سلطانه أن يرفق بالناس، ولا يشق عليهم، حتى لا تصيبه دعوة النبي ﷺ

فقد أخرج الإمام مسلم عن عائشة ــ رضي الله عنها ــ قالت: سمعت النبي ﷺ يقول في بيتي هذا: "اللهم مَن ولي مِن أمرِ أُمَّتي شيئاً فشقَّ عليهم، فاشقُقْ عليه، ومَن ولِي مِن أمر أُمتي شيئاً فرفَق بهم، فارفُق به".

ونحن نُردِّد خلف النبي ﷺ ونقول: آمين.

ولقد حذَّر النبي ﷺ الراعي من البطش والعنف مع رعيته، وبيَّن أنه إن كان كذلك فهو من شر الرعاء

ففي الحديث الذي أخرجه مسلم عن عائز بن عمرو أنه دخل على عبيد الله بن زياد فقال: "أي بُني، سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن شر الرعاء [1] الحُطَمة [2] فإياك أن تكون منهم"

وصدق أبو الفتح البستي حيث قال:

وارفق الرفق في كل الأمور فلم ... يندم رفيق ولـم يذممه إنســان

ولا يغُرنَّــك حظٌ جرَّه خرق ... فالخرق هدم، ورفق المرء بنيان

(جواهر الأدب صــ ٦٧١)

ــ **والرفق:** هو لِين الجانب بالقول والفعل، والأخذ بالأسهل، وهو ضد العنف

• عمر رضي الله عنه وشفقته على رعيته:

"في عام الرمادة أمَر يوماً بنحر جَزور، وتوزيع لحمه على أهل المدينة ! وعند الغداء وَجَدَ عمرُ أمامه سَنامَ الجزور وكَبِدَه، وهما أطيب ما فيه، فقال: من أين هذا؟ قيل: من الجزور الذي ذُبح اليوم، قال: بخٍ... بخٍ، بئس الوالي أنا إن طَعمتُ أطْيَبَها، وتركتُ للناس كَرَاديسَها ــ **يعني: عظامها** ــ ثم نادى خادمه أسلم، وقال له: يا أسلم، ارفع هذه الجَفْنةَ، وائتني بخبزٍ وزيت".

---

(1) الرعاء: جمع راعٍ.
(2) الحطمة: العنيف برعاية الإبل في السَّوق، والإيراد، والإصدار، ويلقى بعضها ويعسفها ، ضَرَبَهُ مثلاً لوالي السوء القاسي الذي يظلم الرعية.

وصدق الله حيث قال في كتابه الكريم: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]

وقال تعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [الشعراء: ٢١٥، ٢١٦]

فعلى الرئيس أو الولي أن يخفض جناحه لرعيته، وأن يعاملهم برفق؛ لأن الله رفيق يحب الرفق

فقد أخرج الإمام مسلم أن النبي ﷺ قال لعائشة ـ رضي الله عنها ـ:

"يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه "

وفي صحيح البخاري عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ عن رسول الله ﷺ قال:

"والله يحب الرفق في الأمر كله "

وقال ﷺ كما في "صحيح مسلم": " مَن يُحرَم الرفق يُحرَم الخير"

وقال ﷺ كما في "صحيح مسلم": " إن الرفق لا يكون في شيء إلا ذانه، ولا يُنْزَع من شيء إلا شانه "

وانظر إلى رفق النبي ﷺ

ففي "صحيح البخاري" ومسلم عن أنس ﷺ:

"أن أعرابياً بال في المسجد، فقاموا إليه، فقال رسول الله ﷺ: لا تزرموه، ثم دعا بدلو من ماء فصبَّ عليه ـ *وفي رواية مسلم:* "لا تزرموه ودعوه" ـ فتركوه حتى بال، ثم إن رسول الله ﷺ دعاه، فقال له: إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر، إنما هي لذكر الله ﷻ، والصلاة، وقراءة القرآن".

وكذلك فعل النبي ﷺ مع معاوية بن الحكم السُّلَمِيِّ

فقد أخرج الإمام مسلم عن معاوية بن الحكم السُّلَمِيِّ ﷺ قال:

"بينا أنا أصلِّي مع رسول الله ﷺ، إذ عطس رجلٌ من القوم، فقلت: يرحمك الله ! فرماني القوم بأبصارهم. فقلت: واثكل أُمِّيَاهُ ! ما شأنكم؟ تنظرون إلي. فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم. فلما رأيتهم يُصمِتونني. لكني سكت. فلمَّا صلَّى رسول الله ﷺ. فبأبي هو وأمي ! ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه. فوالله ! ما كرهني، ولا ضربني، ولا شتمني. قال: " إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس. إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن"

وصدق الحبيب النبي ﷺ حيث قال كما في "صحيح مسلم":

"إن الله لم يبعثني مُعْنِتاً ولا مُتعنِّتاً، ولكن بعثني معلِّماً مُيسِّراً "

تنبيه:

الأصل في المعاملات مع المؤمنين يبنى على الرفق، واللين، والإحسان إليهم، والرحمة، ولا يعدل عن الرفق إلى الشدة إلا إذا لم يُجْدِ الرفق، ولا ينفع فيها اللين، فمن الناس مَن لا يجدي معه اللين والرفق، بل ربما يحتاج إلى الشدة والعنف؛ لتأديبهم وزجرهم، **كما قال تعالى:**

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد: ٢٥]

قال ابن كثير – رحمه الله – في تفسير هذه الآية: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾

أي: وجعلنا الحديد رادعاً لمن أبى الحق وعانده بعد قيام الحُجَّة عليه.

والنبي ﷺ مع رحمته، وعطفه، ولينه، كان في مواطن معينة يشتدُّ فيها، وهذا من الحكمة، حيث يشتد في مواطن الشِّدةِ، ويلين في مواطن اللين والعطف والرحمة، والموفِّق والمسدِّد هو الذي يوفِّقه الله ويسدِّده، ويعلم متى يرفق ومتى يشتد، وعندما يشتد يشتد وصولاً للحق أو ليمنع باطل، فإذا ما انتهى الأمر رجع إلى حاله من الرفق واللين؛ لأنها الأصل في الإنسان.

ـ وهناك مواطن اشتد فيها النبي ﷺ نذكر منها على سبيل المثال:-

ما أخرجه البخاري ومسلم واللفظ له من حديث أبي حميد الساعدي رضي الله عنه قال:

"استعمل النبي ﷺ ابن اللتيبة - رجلاً من الأزد - على الصدقة، فلما جاء بالمال فدفعه إلى النبي ﷺ، فقال: هذا مالكم، وهذا هدية أُهديتْ لي، فقال له النبي ﷺ: أفلا قعدت في بيت أبيك وأمك فتنظر أيُهْدَى إليك أم لا؟"

وفى "صحيح مسلم" أن النبي ﷺ قال:

"كلما غزونا غازين في سبيل الله تخلَّف أحدكم ينبُّ بنبيب التيس[1]، يمنح إحداهن الكُثْبة. إن الله لا يمكنِّي من أحد منهم إلا جعلته نكالاً" ــ أو " نكلته "

وأيضاً قال النبي ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه لما صلَّى بالناس وأطال الصلاة:

"يا معاذ أفاتن أنت" - أو "أفتَّان " (الحديث عند البخاري ومسلم)

(٨) نتمنَّى أن يَمُنَّ اللّه علينا برئيس يتَّقِي اللّه في رعيته:

والتقوى لها تعريفات كثيرة، وكل هذه التعريفات والتعبيرات تدور حول مفهوم ومعنى واحد: أن يأخذ العبد وقايته من سخط الله عز وجل وعذابه، وذلك بامتثال المأمور، واحتساب المحظور.

ولشرف التقوى وأهميتها نجد أن الله عز وجل يوصي بها الأوَّلين والآخرين

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ [النساء: ١٣١]

فلما وصَّى الله بهذه الخصلة الوحيدة، وجمع لها الأوَّلين والآخرين من عباده، واقتصر عليها، عُلمت أنها الغاية التي لا يُتجَاوز عنها ولا مقصود دونها، وعُلِم كذلك أنها الجامعة لخيري الدنيا والآخرة، الكافية لجميع المهمات، المُبلِّغة إلى أعلى الدرجات.

وهى وصية رب العالمين لجميع الأنبياء والمرسلين، **قال تعالى:** ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ * وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾ [المؤمنون: ٥١ ــ ٥٢]

ولما حضرت الوفاة أبا بكر رضي الله عنه وعهد إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

دعاه فوصَّاه بوصيته، وأول ما قال له: اتَّقِ الله يا عمر.

---

(1) ينبُّ بنبيب التيس: أي يصوِّت كصوت التيس، وهو الجدي من الماعز ، وهو كناية عن إرادة الو قاع إلى الجماع ، لشدة توقانه إليه.

فالتقوى خير ما يتزيَّن به الراعي والرعية؛ لتستقيم الحياة، فهي مفتاح كل خير، وخير زاد للآخرة، **والتقوى لها ثمرات عديدة آجلة وعاجلة منها:-**

١. المخرج من كل ضيق، والرزق من حيث لا يحتسب:

قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق ٢ – ٣]

٢. التقوى سبب للسهولة واليُسر في كل أمر:

قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾ [الطلاق: ٤]

٣. التقوى سبب لمحبة الله ﷻ:

قال تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ٧٦]

٤. التقوى سبب لإطلاق نور البصيرة، فيفرق بين الحق والباطل، والخير والشر:

قال تعالى: ﴿ يِا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إَن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [الأنفال: ٢٦]

قال محمد رشيد رضا: **الفرقان في اللغة:** هو الصبح الذي يفرق بين الليل والنهار، ويسمى القرآن فرقاناً؛ لأنه يُفرّق بين الحق والباطل، وتقوى الله في الأمور كلها تعطي صاحبها نوراً يفرق بين الحق والباطل، والخير والشر، والهدى والضلال، والخبيث والطيِّب، ولا يقتصر الأمر على ذلك بالنسبة للمُتَّقين، بل يُكفِّر الله عنهم سيائتهم، ويسترها لهم في الدنيا ويغفر، ويغفر لهم ولا يعاقبهم عليها في الآخرة فمن اتَّقاه وقَاهُ، وجعل له نوراً يمشى به.

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحديد: ٢٨]

٥. التقوى سبب في نصرة الله ﷻ وتأييده وتسديده:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل: ١٢٨]

وقال تعالى: ﴿ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة:١٩٤]

وهذه المعيَّة معيَّة خاصة، وهى معيَّة التأييد والنصرة والتسديد، وهي معيَّة الله ﷻ لأنبيائه وأوليائه، ومعيَّة للمتقين والصابرين.

قال قتادة – رحمه الله –:

"ومَن يتّقِ الله يكن معه، ومَن يكن الله معه، فمعه الفئة التي لا تُغْلَب، والحارس الذي لا ينام، والهادي الذي لا يضل".

وكتب بعض السلف إلى أخيه فقال له:

"أما بعد...، إن كان الله معك فمَن تخاف، وإن كان عليك فمن ترجو".

٦. التقوى سببٌ للحفظ من كيد الأعداء ومكرهم، وهي باب النصر، والمددُّ من الله تعالى:

قال تعالى: ﴿ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ [آل عمران:١٢٠]

وقال تعالى: ﴿ بَلَى إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ [آل عمران:١٢٥]

٧. التقوى سبب لنزول البركات من السماء، وخروجها من الأرض، ورفع البلايا والأزمات:

قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ [الأعراف:٩٦]

ويدل على هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ﴾ [الجن: ١٦]

قيل لأحد الصالحين: إن الأسعار قد ارتفعت، قال: انزلوها بالتقوى، **وقرأ قوله تعالى:**

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ [الأعراف:٩٦]

يقول ابن القيم – رحمه الله– كما في كتابه "الجواب الكافي":

فإذا أراد الله أن يُطهِّر الأرض من الظلمة والخونة والفجرة يخرج عبداً من عباده من أهل بيت نبيه ﷺ؛ فيملأ الأرض قسطاً كما ملئت جوراً، ويقتل المسيحُ عليه السلام اليهودَ والنصارى، ويقيم الدين الذي بعث الله به رسوله، وتخرج الأرض بركتها وتعود كما كانت، حتى إن العصابة من الناس ليأكلون من الرّمانة، ويستظلون بقحفتها، ويكون العنقود من العنب وقر بعير، ولبن اللقحة الواحدة لتكفي الفئام من الناس؛ وهذا لأن الأرض لما طهرت من المعاصي ظهرت فيها آثار البركة من الله تعالى.

وأُحذِّر نفسي وولاة أمور المسلمين أن نكون من الذين قال الله تعالى فيهم:

﴿ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ [البقرة: ٢٠٥ ـ ٢٠٦]

(٩) نتمنَّى أن يَمُنَّ الله علينا برئيس تكون له بطانة صالحة، ترشده على الخير وتعينه عليه:

- *يقول ابن الجوزي ــ رحمه الله ــ كما في كتابه "الشفاء في مواعظ الملوك والخلفاء" عن الإمام العادل:*

"ينبغي أن لا يخلي مجلسه من كبار العلماء الأخيار الأفاضل، الذين يخافون الله، فإن ذلك زيادة في دينه ودنياه، ولا يعمل شيئاً إلا بفتواهم"

وقد كانت بطانة رسول الله ﷺ أفاضل أصحابه فكان كثيراً ما يقول:

"خرجت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر".

وكذلك كان أهل مشورة عمر بن الخطاب ﷺ وبطانته من القرَّاء حملة القرآن

فقد أخرج البخاري من حديث ابن عباس– رضي الله عنهما – حديث وفيه:

"وكان القرَّاء أصحاب مجلس عمر ﷺ ومشاورته كهولاً كانوا أو شبابًا".

فإذا أراد الله بعبده خيراً هيَّأ له البطانة الصالحة

فقد أخرج النسائي عن عائشة ــ رضي الله عنها – قالت: قال رسول الله ﷺ:

"من ولِي منكم عملاً فأراد الله به خيراً، جعل له وزيراً صالحاً إن نسي ذكَّره، وإن ذكر أعانه"

فبطانة الخير تحض الإنسان على الخير، وترغِّبه فيه، وتذكِّره بالله، وبطانة الشر تعينه على الشر، وتفتح له أبوابه، وتنسيه ذكر الله.

وقد جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري عن أبي سعيد الخدري ﷺ قــال:

قال رسول الله ﷺ: " مَا بَعَثَ اللَّهُ مِنْ نَبِيٍّ وَلا اسْتَخْلَفَ مِنْ خَلِيفَةٍ إِلا كَانَتْ لَهُ بِطَانَتَان: بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْخَيْرِ وَتَحُضُّه عَلَيْهِ، وَبِطَانَةٌ تَأْمُرُ بِالشَّرِّ وَتَحُضُّه عَلَيْهِ، فَالْمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَ اللَّهُ تعالى".

وفي رواية أخرى عند النسائي من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال:

"مَا مِنْ أَمِيرٍ إِلا وَلَهُ بِطَانَتَانِ مِنْ أَهْلِه، بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْمَعْرُوف، وَتَنْهَاهُ عَنِ الْمُنْكَر، وَبِطَانَةٌ لا يُأْلُوهُ خبَالاً، فمن وقى شرّها فقد وقي، وَهُوَ مِنَ الَّتِي تَغْلَّبَ عَلَيْهِ مِنْهُمَا ".

(صحيح الجامع: ٥٦٩٤)

فبطانة الحاكم كالأعضاء، والسلطان كالقلب، ومتى نزلت آفة بعضوٍ لم يأمن تعدِّيها إلى القلب، فبفساد البطانة يَفسَدُ الحاكمُ والحكم.

- **ولقد كانت بطانة هرقل سبب في موته على الكفر**

ففي حديث طويل أخرجه البخاري ومسلم أن هرقل سأل أبا سفيان جملةً من الأسئلة عن رسول الله ﷺ وعلم من الإجابة ما يقطع بصحة نبوة النبي ﷺ، وفى الحديث:

"فأذِن هرقل لعظماء الروم في دسكرة له بحمص، ثم أمر بأبوابها فغلِّقت، ثم اطلع فقال: يا معشر الروم. هل لكم في الفلاح والرشد، وأن يثبت ملككم فتبايعوا هذا النبي؟ فحاصوا حيصة حمر الوحشي [1] إلى الأبواب فوجدوها قد غلقت، فلما رأى هرقل نفرتهم وأيس من الإيمان، قال: رُدُّوهم علَيَّ، وقال: إني قلت مقالتي آنفاً اختبرُ بها شدَّتكم على دينكم فقد رأيت، فسجدوا له ورضوا عنه، فكان ذلك آخر شأن هرقل".

- ***يقول سفيان بن عُيينة ــ رحمة الله ــ:***

"انظروا إلى فرعون معه هامان، وانظروا إلى الحجَّاج معه يزيد بن أبي مسلم شرّ منه انظروا إلى سليمان بن عبد الملك صحبه رجاء بن حيوة فقوَّمه وسدده.

وصدق القائل حيث قال:

أنت في الناس تقــاسُ	بالذي اخترتَ خليلاً
فاصْحَبْ الأخيار تعلو	وتنلْ ذكراً جميلاً

(1) فحاصوا: وشبههم بالوحشي؛ لأن نفرتها أشد من نفرة البهائم الإنسية ، وشبههم بالحمر دون غيرها من الوحوش؛ لمناسبة الجهل وعدم الفطنة بل هم أضل.

(١٠) نتمنَّى أن يَمُنَّ اللّه علينا برئيس لا يحتجب عن الناس، ولا يغلق بابه دونهم:

فهو ليس أفضل من خير البشر ﷺ الذي كان لا يغلق بابه دون البشر

فقد أخرج البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه قال:

"مرَّ رسول الله ﷺ بامرأة عند قبر وهى تبكي، فقال لها: اتقي الله واصبري، فقالت: إليك عني فإنك لم تصب مصيبتي، قال: ولم تعرفه ـ فقيل لها: هو رسول الله ﷺ ـ فأخذها مثل الموت، فأتت باب رسول الله ﷺ، فلم تجد عنده بوّابين... (وهذا هو الشاهد) فقالت: يا رسول الله إني لم أعرفك، فقال رسول الله ﷺ: إنما الصبر عند الصدمة الأولى"

- وقد بيَّن النبي ﷺ شؤم وعقاب ووعيد من وَلِيَ أمر المسلمين ثم احتجب عنهم

فقد أخرج الإمام أحمد والترمذي عن عمرو بن مرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

"ما من إمامٍ أو والٍ، يغلق بابَهُ دونَ ذوي الحاجة، والخَلَّةِ، والمسكنةِ، إلا أغلق اللهُ أبواب السماء دونَ خلته وحاجته ومسكنته" (الصحيحة:٦٣٠)،(صحيح الجامع: ٥٦٨٥)

وأخرج أبو داود وابن ماجة والحاكم عن أبي مريم الأزدي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

"مَن ولِيَ من أمور المسلمين شيئاً، فاحتجبَ دونَ خَلَّتِهم، وحاجتهم، وفقرهم، وفاقتهم، احتجب الله عنه يوم القيامة، دون خَلَّته، وحاجته، وفاقته، وفقره"

(الصحيحة: ٦٢٩)،(صحيح الجامع: ٦٥٩٥)

(١١) نتمنَّى أن يَمُنَّ اللّه علينا برئيس يتفقّد رعيته ويقضي حاجاتهم:

فعلى الأمير أو الحاكم أو السلطان أو الرئيس ألا يبتعد عن شعبه، فيبني لنفسه برجاً من العاج العالي، وينعزل عن شعبه، بل يخالطهم ويشعر بنبضهم، ويقضي حوائجهم.

- ***فها هو الصِّديق ﷺ خليفة رسول الله ﷺ:***

كان يحلب للحيَّ أغنامهم، فلما بُويع بالخلافة، قالت جارية من الحيَّ: الآن لا يَحلُبُ لنا منائحنا، فسمعها أبو بكر، فقال: لَعمري لأحلُبَنَّها لكم، وإني لأرجو أن لا يغيرني ما دخلت فيه من خُلُقٍ كنتُ عليه. **(أخرجه ابن سعد في طبقاته:٣/١٨٦)**

- ***وجاء في "أُسد الغابة" لابن الأثير عن أبي صالح الغفاري:***

أن عمر بن الخطاب ﷺ كان يتعاهد عجوزاً كبيرة عمياء في بعض حواشي المدينة من الليل، فيستقي لها، ويقوم بأمرها، فكان إذا جاء وجد غيره قد سبقه إليها فأصلح ما أرادت، فجاءها غير مرةٍ كُلاًّ يسبق إليها، فرصده عمر فإذا هو بأبي بكر الصديق ﷺ الذي يأتيها، وهو يومئذٍ خليفة. فقال عمر: أنت هو لعمري!!

فرضي الله عن أبي بكر وعمر علَّما الدنيا البذل والعطاء والإخلاص والتضامن في قضاء حوائج المسلمين، حتى ولو كان أحدهم أميراً للمؤمنين.

• *وانظر لهذا الموقف الجليل لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ، قال أسلم مولى الفاروق عمر ﷺ:*

"خرجنا مع عمر بن الخطاب ﷺ إلى حَرَّةِ واقم[1]، حتى إذا كنا بصِرار[2] إذا نار، فقال: يا أسلم إني لأرى هاهنا ركب قصر بهم الليلُ والبرد، انطلق بنا، فخرجنا نهرول حتى دنونا منهم، فإذا امرأةٌ معها صبيانٌ، وقِدْرٌ منصوبة على نار وصبيانُها يتضاغون [3] فقال عمر: السلام عليكم يا أصحاب الضوء، وكره أن يقول: يا أصحاب النار، فقالت: وعليك السلام. قال: أَدْنُو؟ قالت: ادنُ بخير أو دع. قال: فدنا، وقال: ما لكم؟ قالت: قصَّر بنا الليل والبرد، قال: وما بال هؤلاء الصبية يتضاغون؟ قالت: الجوع. قال: فأي شيء في هذه القدِر؟ قالت: ماء أُسْكِتهم به حتى يناموا، والله بيننا وبين عمر. قال: أَنى – رحمك الله – وما يُدْرِي عُمَر بكم؟ قالت: يتولَّى أمرنا ثم يغفل عنا؟! قال أسلم: فأقبل عليَّ، فقال: انطلق بنا، فخرجنا نُهرول حتى أتينا دار الدقيق فأخرج عِدْلاً من دقيق، وكبَّة شحمٍ، فقال: احملْهُ عليَّ، فقلت: أنا أحمله عنك، فقال: أنت تحمل وزري يوم القيامة – لا أمَّ لك؟! فحملتُه عليه، فانطلق وانطلقتُ معه إليها نهرول، فألقى عندها، وأخرج من الدقيق شيئاً، فجعل يقول لها ذُرِّي [4] عليَّ وأنا أُحِرُّ [5] لك، وجعل ينفخُ تحت القدِر، ثم أنزلها، فقال: أبغي شيئاً، فأتته بصحفة، فأفرغها فيها، ثم جعل يقول لها: أطعميهم وأنا أُسطح لهم، فلم يزل حتى شبعوا، وترك عندها فضلَ ذلك، وقام وقمتُ معه، فَجَعَلَتْ تقول: جزاك الله خيراً، كنت أولى بهذا الأمرِ من أمير المؤمنين، فقال: قولي خيراً – إذا جئتِ أمير المؤمنين. وجدتني هناك ـ إن شاء الله ـ ثم تنحَّى عنها ناحية، ثم استقبلها، فربض مربضاً، فقلت: إن له شأناً غير هذا، فلا يكلمني، حتى رأيت الصِّبية يصطرعون، ثم ناموا وهدءوا. فقال: يا أسلم، إن الجوع أسهرهم وأبكاهم، فأحببتُ ألا أنصرف حتى أرى ما رأيت"

ـ *وفى رواية:* يا أسلم أتدري لما ربضتُ حذِائهم؟ قلت: لا يا أمير المؤمنين، قال: رأيتهم يبكون، فكرهتُ أن أذهب وأدعهم، حتى أراهم يضحكون، فلما ضحكوا طابت نفسي. (أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في "الفضائل"، وابن عساكر بسند صحيح)

يا خالق عمر سبحانك!!

(1) إحدى حرتي المدينة وهي أرض ذات حجارة سود .
(2) اسم موضع.
(3) يبكون.
(4) ذُرِّي: ذَرَّ الشيء يَذُرُّه: أخذه بأطراف أصابعه ، ثم نثره على الشيء.
(5) أحُرُّ لكِ: أي ذري الدقيق في القدر لأعمل لك حريرة.

وهاهو علي بن أبي طالب ﷺ أمير المؤمنين:

كان يمشي في أسواق الكوفة، وهو خليفة المسلمين، فيرشد الضال، ويعين الضعيف، ويلتقي بالشيخ المسنِّ الكهل، فيحمل عنه حاجته، ولا يسكن قصر الإمارة، ويقول: قصر الخبال هذا لا أسكنه أبداً.

(١٢) نتمنَّى أن يَمُنَّ الله علينا برئيس يحافظ على ثروات بلده وأموال شعبه:

فقد أخرج الإمام أحمد عن أبي أمامة سهل بن حنيف قال:

"دخلتُ أنا وعروة بن الزبير على عائشة ـ رضي الله عنها ـ فقالت: لو رأيتما رسول الله ﷺ في مرض له، وكانت عنده ستة دنانير أو سبعة دنانير فأمرني رسول الله ﷺ أن أفرِّقها، فشغلني وجع رسول الله ﷺ حتى عفاه الله، ثم سألني عنها، فقال: ما فعلت؟ أكنت فرَّقت الستة دنانير؟ فقلت: لا والله، لقد شغلني وجعك، قالت: فدعا بها فوضعها في كفه، فقال: ما ظن نبي الله لو لقي الله وهذه عنده"

ـ *وفي رواية:* "ما ظن محمد بربه لو لقي الله وهذه عنده"

يالله... الرسول ﷺ خائف أن يلقى الله وعنده هذه الدنانير (وهي أمانة عنده) ولم تفرَّق على أهلها، فما الظن بمَن يأكل أموال الناس بالباطل، ويأخذها بغير حق، فماذا سيقول لربه غداً عندما يقف بين يديه يسأله عن النقير والقطمير، والصغير والكبير؟ ماذا سيقول عندما يطالبه الناسُ بحقوقهم يوم القيامة؟.

والله ستردُّ هذه الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، يوم يكون التعامل بالحسنات والسيئات.

فقد أخرج الطبراني من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال:

"لتُؤدُنَّ الحقوقَ إلى أهلها يوم القيامة، حتى يُقاد للشاةِ الجلحاء من الشاة القرناء"

فلا ظلم يوم القيامة ولا هضم.

فإلى الذين يأكلون أموال الناس طلباً للزيادة والنماء، نقول لهم: هذا هو عين الإفلاس

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

"أتدرون مَن المفلس؟ قالوا: المفلس فينا مَن لا درهم له ولا متاع، فقال: إن المفلس من أُمَّتي مَن يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيُعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنِيت حسناتُه قبل أن يقضي ما عليه، أُخِذ من خطاياهم، فطرحت عليه، ثم طُرِح في النار"

ـ **متاع:** كل ما ينتفع به من عروض الدنيا.

ـ **قذف هذا:** أي رماه بالزنا أو ما شابه ذلك.

• نماذج مضيئة تركت حُطام الدنيا واختارت ما عند اللّه:

فها هو خليفة رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق ﷺ

يقول أبو بكر ﷺ لعائشة ـ رضي الله عنها ـ حين حضره الموت:

"أما إنَّا منذ وُلِّينا أمر المسلمين لم نأكل لهم ديناراً ولا درهماً، ولكنَّا قد أكلنا من جريش طعامهم في بطوننا، ولبسنا من خشن ثيابهم على ظهورنا، وليس عندنا من فيء المسلمين قليلٌ ولا كثيرٌ إلا هذا العبد الحبشي وهذا البعير الناضح، وجَرْدَ من القطيفة، فإذا مِتُّ فابعثي بهم إلى عُمر وأبرئ منهم، ففعلت، فلما جاء رسولُ أبي بكر عمرَ بكى حتى جعلتْ دموعُه تسيل في الأرض، ويقول : رحِم الله أبا بكر! لقد أتعب مَن بعده، رحم الله أبا بكر! لقد أتعب مَن بعده".

ـ **الجريش:** غليظ الطعام

وانظر إلى الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – في كتابه "السياسية الشرعية" صــ ٣٦:

قال رجل لعمر بن الخطاب ﷺ: **"يا أمير المؤمنين لو وسَّعت على نفسك في النفقة من مال الله تعالى؟! فقال له عمر ﷺ: أتدري ما مثلي ومثل هؤلاء؟ قال الرجل: لا.**

فقال عمر: مثلي ومثل هؤلاء كمثل قوم كانوا في سفر، فجمعوا منهم مالاً وسلَّموه إلى واحدٍ ينفقه عليهم، فهل يَحلُّ لذلك الرجل أن يستأثر عنهم من أموالهم؟

وكان عمر ﷺ يقول:

"إني أنزلت مال الله مني بمنزلة مال اليتيم، مَن كان غنياً فليستعفف، ومَن كان فقيراً فليأكل بالمعروف". (أخرجه ابن سعد بسند صحيح)

وكان ــ رحمه الله ــ يقول:

"أنا أُخبركم بما أستَحِلُّ منه (أي من مال المسلمين) **حُلَّتيْنِ: حُلّةً في الشتاء، وحُلّةً في الصيف، وما أحجُّ عليه وأعتمرُ من الظَّهْر، وقوتَ أهلي كقوتِ رجلٍ من قريش، ليس بأغناهم ولا أفقرهم".**

وعن قتادة ــ رحمه الله ــ قال:

"كان مُعَيقيبُ على بيت مال عمر، فكَسَحَ بيت المال يوماً فوجد فيه درهماً، فدفعه إلى ابن لعمر، قال مُعَيقيبُ، ثم انصرفتُ إلى بيتي، فإذا رسولُ عمر قد جاء يدعوني، فجئتُ، فإذا الدرهمُ في يده، فقال: ويحك يا مُعَيقيب! أوجدت عليَّ في نفسك سبباً؟ ــ أو ما لي ولك؟ ــ فقلت: ما ذاك؟ قال: أردتَ أن تخاصمني أمةُ محمدٍ ﷺ في هذا الدرهم يوم القيامة".

وانظر لهذا الموقف العجيب الذي يدل على ورع عمر ﷺ وتقواه

يقول عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ:

"اشتريتُ إبلاً، وارتجعتها إلى الحِمى، فلما سَمُنَتْ قدمتُ بها، قال: فدخل عمرُ بن الخطاب السوقَ فرأى إبلاً سِمَاناً، فقال: لمَن هذه؟ قيل: لعبد الله بن عمر، قال: فجعل يقول: يا عبد الله بن عمر. بخ... بخ! ابن أمير المؤمنين!! قال عبد الله: فجئته أسعى، فقلت: ما لكَ يا أمير المؤمنين؟ قال: ما هذه الإبل؟ قلت: أبلٌ أنضاء اشتريتها، وبعثتُ بها إلى الحمى أبتغي ما يبتغي المسلمون، قال عمر: أردت أن يُقَال: ارعوا إبل ابن أمير المؤمنين، اسقوا إبل ابن أمير المؤمنين، يا عبد الله بن عمر، اغْدُ على رأسِ مالك، واجعل باقِية في بيت مال المسلمين".

وانظر إلى ورع وخوف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ أن يأخذ شيئاً من بيت مال المسلمين

فقد أخرج أبو نعيم في "الحلية"، والذهبى في "تاريخ الإسلام" وابن الجوزي في "صفة الصفوة" بسند صحيح عن عنترة بن عبد الرحمن الشيباني قال:

"دخلتُ على عليّ بن أبي طالب بالخورنق [(١)] وعليه قطيفة، وهو يرعدُ من البرد، فقلت: يا أمير المؤمنين: إن الله قد جعل لك ولأهل بيتك نصيباً من هذا المال، وأنت ترعدُ من البرد؟! فقال: إني والله لا أرزأ من مالكم شيئاً، وهذه القطيفة هي التي خرجتُ بها من بيتي"، *أو قال:* "من المدينة"

(1) الخورنق: موضع بالكوفة.

وجاء عند أبي نعيم في "الحلية"، وابن كثير في "البداية والنهاية"، والذهبي في "تاريخ الإسلام" عن العلاء بن عمار أن علياً ﷺ خطب الناس فقال:

"أيها الناس: والذي لا إله إلا هو ما رزأت [1] من مالكم قليلاً ولا كثيراً إلا هذه – وأخرج قارورة من كُمِّ قميصه فيها طيب ـ فقال: أهداها إلى الدَّهقان [2] ثم أتى بيت المال، فقال: خذوا، *ثم أنشأ يقول:*

أفلح مَن كانت له قوصرة[3] يأكل منها كل يوم مرّة

وأخرج الإمام أحمد وابن أبي الدنيا في "الورع" عن عبد الله بن زرير الغافقي قال:

"دخلنا على علي بن أبي طالب ﷺ يوم أضحى، فقدَّم إلينا خزيرة، فقلنا: يا أمير المؤمنين. لو قدَّمت إلينا من هذا البط والوز والخير الكثير! قال: يا ابن زرير! إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يحلُّ للخليفة إلا قصعتان: قصعةٌ يأكلها هو وأهله، وقصعة يُطْعمُها" (الصحيحة:٣٦٢)

***وأخيراً**... أحبتي في الله ...*

إن الذي يلِي أمر المسلمين لابد أن يعلم أنه مسئول بين يدي رب العالمين

فقد أخرج النسائي وابن حبان من حديث أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال:

"إن الله تعالى سائل كلّ راعٍ عمَّا استرعاه، أحَفِظَ ذلك، أم ضيَّعه؟ [حتى يسأل الرجل على أهل بيته]" (صحيح الجامع:١٧٧٤)

وأخرج البخاري ومسلم من حديث ابن عمر – رضي الله عنهما – أن النبي ﷺ قال:

"ألا كلكم راعٍ، وكلكم مسئول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راعٍ، وهو مسئول عن رعيته"

(1) مارزأت: أي ما أصبت ولا أخذت.
(2) الدّهقان : زعيم فلاحي العجم ، ورئيس إقليمهم.
(3) القوصرة: وعاء التمر .

- **فالأمر جد خطير لمن يَلِي أمراً من أمور المسلمين**

والأمر كما قال الرسول الأمين ﷺ:

"ما من أمير عَشَرَةٍ، إلا وهو يُؤْتَى به يوم القيامة ويدُه مغلولةٌ إلى عنقه "

(أخرجه البيهقي في سننه عن أبي هريرة، وصححه الألباني في صحيح الجامع: ٥٦٩٦)

وعند البيهقي أيضاً: **"ما من أمير عَشَرَةٍ، إلا وهو يُؤْتَى به يوم القيامة مغلولاً، حتى يفكَّه العدلُ، أو يوبقَهُ الجورُ"** (الصحيحة: ٣٤٤)

ـ *وفى رواية أخرى:* **"ما من رجلٍ يلي أمرَ عَشَرَةٍ فما فوق ذاك، إلا أتى اللهَ مغلولاً يدُه إلى عنقه، فكَّه برُّه، أو أوثقهُ إثمُه، أولها ملامةٌ، وأوسطها ندامةٌ، وآخرها خزيٌ يوم القيامة"** (رواه أحمد عن أبي أمامة، وهو في الصحيحة: ٣٤٩)،(صحيح الجامع:٥٧٨١)

- **فالأمر خطير لمن يَلِي أمر المسلمين ثم يظلم أو يجور، وإذا أردت إن تستشعر هذا الكلام فاستمع معي لهذا الحديث**

أخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال:

"ليتَمَنَّيَنَّ أقوامٌ وُلُّوا هذا الأمر أنهم خرّوا من الثريَّا، وأنهم لم يَلُوا شيئاً"(صحيح الجامع:٥٣٦٠)

سيأتي على هؤلاء يوم يندمون، ويتمنّون لو أنهم خرُّوا من السماء من نجم الثريَّا الذي في السماء وخرّوا إلى الأرض، وأنهم ما تولّوا شيئاً من أمور الناس، لما حصل منهم من خيانة أو تقصير أو الإثم والاعتداء والظلم.

وفى رواية أخرى عند الحاكم في "المستدرك" عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ:

"ليُوشِكُ رجلُ أن يتمنَّى أنه خرّ من الثريا، ولم يَلِ من أمر الناسِ شيئاً " (الصحيحة: ٣٦١)

هذا في حق مَن جار وظلم

إذاً لا نجاة ولا سبيل إلا بإقامة العدل

فقد أخرج الطبراني عن عوف بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال:

"إن شئتم أنبأكم عن الإمارة وما هي؟ أوّلها ملامة، وثانيها ندامة، وثالثها عذابٌ يوم القيامة، إلا مَنْ عَدَلَ " (الصحيحة: ١٥٦٢)

ــ **أولها ملامة:** أي تتوجه إليه سهام الانتقادات.

ــ **وأوسطها ندامة:** إذا نُحِّي عن منصبه، أو خُرِج عليه فخُلِع.

ــ **وآخرها خزي يوم القيامة:** بما يلقى الله ﷻ من الخيانة، أو عدم القيام بالمسئولية وأداء الأمانة

فلا سبيل ولا مخرج من هذا إلا بإقامة العدل وأداء ما عليه

فقد أخرج الإمام مسلم أن النبي ﷺ قال لأبي ذر ﷺ:

"يا أبا ذر. إني أراك ضعيفاً، وإني أحبُّ لك ما أحب لنفسي، لا تأمَّرنَّ على اثنين، ولا تولينَّ مال يتيم"

ــ ***وفي رواية أخرى عند مسلم:*** **"يا أبا ذر إنك ضعيفٌ وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقها، وأدَّى الذي عليه منها"**

فهذه هي النجاة لمن يَلِي أمراً من أمور المسلمين:

"إلا من أخذها بحقها وأدّى الذي عليها فيها "

نصيحتي لكم قبل أن نفترق...

مَن كانت عنده دعوة ويظن أنها مستجابة؛ فليجعلها للرئيس القادم، ***وأُذكِّركُم بقول الفضيل:***

"لو كانت عندي دعوة مستجابة لم أجعلها إلا في الإمام، فإنه إذا صلح الإمام صَلَحت البلادُ، وأمن العباد"

• وصف الحسن البصري – رحمه الله – للإمام العادل[1]:

كتب عمر بن عبد العزيز – رحمه الله – لمَّا وُلِيَ الخلافة إلى الحسن بن أبي الحسن البصريّ أن يكتب إليه بصفة الإمام العادل، فكتب إليه الحسن ــ رحمه الله ــ فقال:

اعلم يا أمير المؤمنين، أن الله ﷻ جعل الإمام العادل قِوَام كل مائلٍ، وقِصاء كل جائر، وصلاح كل فاسد، وقوة كل ضعيف، ونصفةَ كل مظلوم، ومفزع كل ملهوف.

والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالراعي الشفيق على إبله، الرفيق بها، الذي يرتادُ لها أطيب المراعي، ويذودُها عن مراتعِ الهلكة، ويحميها من السباع، ويُكِنُّها من أذى الحَرَّ والقرّ.

والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالأب الحاني على ولده، يسعى لهم صغاراً، ويعلمهم كباراً، يكتسب لهم في حياته، ويدَّخِر لهم بعد مماته.

والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالأم الشفيقة البَرَّةِ الرفيقة بولدها، حَمَلته كُرهاً، ووضعَته كُرهاً، وربَّته طفلاً، تسهر بسهره، وتسكن بسكونه، ترضعه تارةً وتفطمُه أخرى، وتفرح بعافيته، وتَغتمّ بشكايته.

والإمام العادل يا أمير المؤمنين وصيُّ اليتامى، وخازنُ المساكين، يربي صغيرهم، ويَمُون كبيرهم.

والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالقلب بين الجوارح، تصلح الجوارح بصلاحه، وتفسُدُ بفساده.

والإمام العادل يا أمير المؤمنين هو القائم بين الله وبين عباده، يسمعُ كلام الله ويُسمعهم، وينظر إلى الله ويريُهم، وينقادُ إلى الله ويقودهم.

فلا تكن يا أمير المؤمنين فيما ملَّكك الله ﷻ كعبد ائتمنَه سيِّدُه، واستحفظه ماله وعياله، فبدَّد المال وشرَّد العيال، فأفقَرَ أهله وفَرَّق ماله.

واعلم يا أمير المؤمنين أن الله أنزل الحدود ليزجر بها عن الخبائث والفواحش، فكيف إذا أتاها من يليها؟! وأن الله أنزل القصاص حياة لعباده، فكيف إذا قتلهم من يقتصُّ لهم؟!

---

(1) استفدت كثيراً من كتاب "ترطيب الأفواه بذكر مَن يُظلهم الله" للدكتور سيد حسين العفاني ـ حفظه الله ـ.

واذكر يا أمير المؤمنين الموت وما بعده، وقِلَّةَ أشياعك عنده، وأنصارك عليه، فتزوَّدْ له ولِما بعده من الفزع الأكبر.

واعلم يا أمير المؤمنين أن لك منزلاً غيرَ منزلك الذي أنت فيه، يطولُ فيه ثُواؤُك، ويُفارقك أحباؤك، يُسلمونك في قَعره فريداً وحيداً. فتزود له ما يُصْحبك ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ "٣٤" وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ "٣٥" وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴾ [عبس: ٣٤ – ٣٦]

واذكر يا أمير المؤمنين قول رب العالمين: ﴿ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ "٩" وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴾ [العاديات: ٩ – ١٠]

فالأسرار ظاهرة، والكتابُ لا يغادرُ صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصاها.

فالآن يا أمير المؤمنين وأنت في مُهلَةٍ قبل حلول الأجل، وانقطاع الأمل.

لا تحكم يا أمير المؤمنين في عباد الله بحكم الجاهلين، ولا تسلُك بهم سبيلَ الظالمين، ولا تُسلِّط المُستكبِرين على المُستضعفِين، فإنهم لا يرقُبون في مؤمن إلاًّ ولا ذمَّةً، فتَبُوءَ بأوزارك وأوزارٍ مع أوزارك، وتحمل أثقالك وأثقالاً مع أثقالك. ولا يغرَّنك الذين يتنعَّمون بما فيه بؤسك، ويأكلون الطيبات في دنياهم بإذهاب طيباتك في آخرتك.

ولا تنظر إلى قدرتك اليوم، ولكن انظر إلى قُدرتك غداً، وأنت مأسورٌ في حبائل الموت، وموقوف بين يدي الله في مجمع من الملائكة والنبيين والمرسلين، وقد عَنَتِ الوجوهُ للحى القيوم.

إني يا أمير المؤمنين، وإن لم أبلُغَ بعِظتي ما بَلَغه أولو النهى من قبلي، فلم آلُك شفقةً ونصحاً، فأنزل كتابي إليك كمدُاوي حبيبه، يسقيه الأدوية الكريهة لما يرجو له في ذلك من العافية والصحة.

والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته.

(العقد الفريد: ١/ ٣٥– ٣٦)

وأختمُ برسالتين، رسالة إلى الراعي، والثانية إلى الرعية

• أولاً: كلمة إلى الراعي [1]

كلمة إلى مَن ملَّكه الله علينا، كلمة إلى سيادة الرئيس وغيره من المسئولين

ولا أعني بالمسئول: الملك، أو الرئيس، أو الأمير، أو الوزير، أو المدير فحسب، بل الكل راع، والكل مسئول عن رعيته، ***كما قال الرسول ﷺ، فقد قال ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ:***

" ألا كلكم راعٍ، وكلكم مسئول عن رعيته: فالأمير الذي على الناس راعٍ ومسئول عن رعيته. والرجل راعٍ على أهل بيته، وهو مسئولٌ عنهم. والمرأة راعيةٌ على أهل بيت بعلها وولده، وهى مسئولةٌ عنهم. والعبد راعٍ على مال سيده، وهو مسئول عنه. ألا فكلكم راعٍ وكلكم مسئولُ عن رعيته". (أخرجه البخاري ومسلم عن ابن عمر – رضي الله عنهما ــ)

فإن كنت مسئولاً فهذه رسالتي إليك:

عليك أولاً بحمد الله ﷻ على ما منَّ به عليك وأنعم؛ إذ جعلك فوق كثيرٍ من خلقه !

فنعمةٌ من الله عليك أن تكون الكلمة – بعد أمر الله – كلمتك، وأن تكون أنت المسئول لست بالسائل، وأن تكون أنت المعطي ويدك هي العليا، ولست بالسائل ذي اليد السفلى.

فنعمةٌ من الله عليك حيث جعلك قيِّماً على العباد، تفصل هذا من العمل، وتكلِّف ذاك بعمل، فعليك إذن بشكر نعمة الله عليك، وإلا سلبت منك تلك النعم، وأصبحت مرءوساً بعد أن كنت رئيساً، وأصبحت الأدنى بعد أن كنت الأعلى، وأصبحت مأموراً بعد أن كنت أميراً، وذلك كله؛ **لأن الله ﷻ يقول:**

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم: ٧]

نعم. لئن شكرتم ليزيدنَّكم الله، وعد الله ولا يخلف الله الميعاد، يزيدكم سعةً، يزيدكم رضًا، يزيدكم إيماناً وراحة بال، يزيدكم رفعة في درجاتكم في الآخرة، يزيدكم ثواباً، يدفع عنكم بلاء، يصرف عنكم سوءً، ﴿ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم: ٧]، نعم. عذاب الله شديد للجاحد، قد تُزَال عنه النعمة في الدنيا، فيصبح يقلب يديه على ما أنفق فيها، وقد رآها خاوية على عروشها !

نعم. قد تُزَال عنه الرياسة ويصبح مرءوساً، ويُزال عنه الملك ويصبح مملوكاً، وبعد أن كانت يده العليا تصبح يده هي السفلى، ولله الأمر من قبل ومن بعد، وقد تكون النعمة بين يديه، ولكن لا أثر لها في قلبه، ولا صدَى لها في فؤاده، قد تكون النعمة التي بين يديه وبالاً عليه، يكون المال بيده وهو مهموم مغموم بهذا المال، خائف عليه، حذرٌ من طمع الناس فيه، ينام مضطرب الفؤاد حيراناً.

(1)"فقه الأخلاق والمعاملات" للشيخ مصطفى العدوي (٣/ ٣٢ – ٣٦) .

وأبشع من ذلك، وأدهى وأمرّ هو العذاب الشديد المُدَّخَر في الآخرة لمَن لم يشكر النعم، ولمَن لم يقر بفضل الله عليه !! فعلينا إذا بالشكر.

ألا ترى أن موسى الكليم ــ عليه الصلاة والسلام ــ يقول لقومه:

﴿ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾ [المائدة: ٢٠]

فهاهو يحثهم على شكر نعمة الله.

وهاهو سليمان النبي الكريم لما رأى عرش ملكة سبأ مستقراً عنده قال:

﴿ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ [النمل: ٤٠]

وهاهو أيضاً ﷺ يقول لما أفهمه الله لغة النمل: ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾

[النمل: ١٩]

• واعلم أن ما أنت فيه من منصب وجاهٍ إنما هو فتنة لك، فإن الله ﷻ جعل بعض الناس فتنة لبعض: فالراعي فتنة للرعية، والرعية فتنة للراعي، والقوى فتنةُ للضعيف، والضعيف فتنة للقوي، والغني فتنة للفقير، والفقير فتنة للغني، والجميل فتنة للدميم، والدميم فتنة للجميل، والكل مبتلى بالآخر، ومفتونٌ به.

كما قال تبارك وتعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً ﴾ [الفرقان: ٢٠]

وكما قال سبحانه: ﴿ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا ﴾ [الأنعام: ٥٣]

وكما قال سبحانه: ﴿ فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر: ٤٩]

وقال تعالى: ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [الزخرف: ٣٢]

وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ﴾

[الأنعام: ١٦٥]

فإذا علمت ذلك فاتقِ الله في منصبك، واتقِ الله فيمَن هم تحت يديك، واتقِ الله في نفسك.

• **وتذكر أنك حتمًا مفارقٌ لمنصبك وتاركٌ له، إن عاجلاً أو أجلاً، بالموت أو بغيره**

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ [الأنعام: ٩٤]

• فعليك بتذكُّر ذلك، وتذكَّر أن غيرك ممَّن ماتوا وفارقوا هذه الحياة، تقلَّدوا منصبًا أعظم من منصبك في دنياهم، فأين أنت من قارون وفرعون وهامان؟!

وأين أنت أيضاً من أنبياء الله ــ عليهم الصلاة والسلام ــ؟!

فاعمل ليوم تفارق فيه هذا المنصب، ويزول عنك ملكك، كما قد زال عن غيرك، **وتذكَّر قول الله تبارك وتعالى:** ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ [الأنعام: ٩٤]

وتذكر قول الله تعالى: ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (١) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴾ [التكاثر: ١، ٢]

وتذكر قول الله تعالى: ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ [الحديد: ٢٠]

• ***ثم تذكَّر حديث رسول الله ﷺ الذي رواه مسلم من حديث أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:*** **" يؤتى بأنعم أهل الدنيا، من أهل النار، يوم القيامة، فيصبغ في النار صبغةً، ثم يُقال: يا بن آدم، هل رأيت خيراً قط؟ هل مرَّ بك نعيمُ قط؟ فيقول: لا والله يا رب ! ويؤتى بأشد الناس بؤسًا في الدنيا، من أهل الجنَّة، فيُصبَغُ صبغةً في الجنة، فيُقالُ له: يا بن آدم، هل رأيت بؤساً قط؟ هل مرَّ بك شدةُ قط؟ فيقول: لا والله يا ربَ ! ما مرَّ بي بؤسُ قط. ولا رأيت شدةً قط** ". أهـ

• ثانياً: رسالة إلى الرَّعية: "كما تكونوا يُولَّى عليكم"

فمَن أراد أن تتحقق الأمنيات السابقة في الرئيس الجديد، أو في كل من يَلِي أمراً من أمور المسلمين؛ فعليه أن يصلح من نفسه ويصطلح مع ربه.

فالبعض يشتكي من الحُكَّام الظَّلمة لما غلب عليهم من إجحاف وفساد، ولم يتهم هؤلاء أنفسهم، فما سلَّط الله عليهم الظالمين إلا عندما ظلموا أنفسهم بارتكاب الذنوب، والبعد عن علام الغيوب.

وهذا ما وضَّحه لنا ربنا في كتابه الكريم، حيث قال سبحانه:

﴿ وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢٩]

فهذه دعوة إلى الإصلاح والصَّلاح، فمَن كان يتمنَّى سلطاناً عادلاً، فعليه أولاً بإصلاح نفسه، فالتغيُّر في نظام الولاة من الجور إلى العدل، ومن الفساد إلى الإصلاح، لا يكون إلا بتغيير النفس،

كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: ١١]

وهذا أيضاً يؤكده النبي ﷺ

ففي الحديث الذي أخرجه البيهقي في "شعب الإيمان" بسند فيه مقال عن أبي إسحاق السَّبيعي وأخرجه كذلك الديلمي عن أبي بكرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

" **كما تكونوا يُولَّى عليكم** " (ضعَّفه الألباني في ضعيف الجامع: ٤٢٨٠)

وإن كان الحديث ضعيفاً إلا أن المعنى صحيح، وله شواهد من القرآن والسنة

كما جاء في أول سورة الإسراء، قال تعالى: ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً (٤) فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْداً مَفْعُولاً (٥) ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً (٦) إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيراً (٧) عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيراً ﴾ [الإسراء: ٤ – ٨]

ـ **قضينا إلى بني إسرائيل:** أخذناهم وأعلمناهم ـ **لَتَعْلُنَّ:** لتستكبِرُنَّ ولتظلمُنَّ الناس.

ـ **بعثنا عليكم:** سلَّطنْا عليكم. ـ **رددنا لهم الكرة:** رددنا لكم الدولة.

ـ **فجاسوا خلال الديار:** فطافوا وسط الديار ينظرون هل بقي منهم أحدٌ لم يقتلوه.

ـ **أكثر نفيراً:** أكثر عدداً وأنصاراً من أعدائكم. ـ **لِيَسُوؤُواْ وجوهكم:** ليسوءوكم بالقتل والأسر.

ـ **ليُتَبِّرُواْ:** ليُدمِّروا ما غلبوا عليه من بلادكم. ـ **حصيراً:** سجناً وحبساً

يقول ابن كثير ــ رحمه الله ــ في تفسيره:

يخبر تعالى إلى أنه قضى إلى بني إسرائيل في الكتاب، أي: تقدَّم إليهم وأخبرهم في الكتاب الذي أنزله عليهم أنهم سيفسدون في الأرض مرتين، ويَعْلُونَّ علواً كبيراً، أي: يتجبَّرون ويطغون ويفجرون على الناس.

وقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا ﴾ أي: أُولَى الإفسادتين، ﴿ بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا ﴾ أي: سلَّطنا عليكم ضداً من خلقنا، ﴿ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ أي: قوة وعدة وعدد وسلطنة شديدة، ﴿ فَجَاسُواْ خِلَالَ الدِّيَارِ ﴾، أي: تملَّكوا بلادكم وسلكوا خلال بيوتكم، أي: بينها ووسطها، وانصرفوا ذاهبين وجائين لا يخافون أحداً، ﴿ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولاً ﴾، وقد اختلف المفسرون من السلف والخلف من هؤلاء المُسلطين مَن هم، **فعن ابن عباس وقتادة:** أن جالوت الجذري وجنوده سُلِّط عليهم أولاً، ثم أُديلُوا عليه بعد ذلك عندما رجعوا إلى ربهم وتابوا إليه وقتل داودُ جالوت. أهـ

فحديث النبي ﷺ: "كما تكونوا يُولَّى عليكم"، له شواهد من القرآن والسنة تؤكد على معناه، وتؤكد كذلك على أن الرَّعية صورة طبق الأصل للحكام: ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف:٤٩]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – في كتابه "السياسة الشرعية" صـ ٣٦:

"وحُمِلَ مَرَّةً إلى عمر بن الخطاب ﷺ مالٌ عظيم من الخُمسِ، فقال: إن قوماً أدُّوا الأمانة في هذا لأمناء، فقال له بعض الحاضرين: إنك أدّيت الأمانة إلى الله تعالى، فأدُّوا إليك الأمانة، ولو رتعت رتعوا "

وينبغي أن يُعرَف أن أولي الأمر كالسوق، ما ينفق فيه جُلب إليه، هكذا قال عمر بن عبد العزيز فإن نَفَقَ فيه الصدق والبر والعدل والأمانة، جُلب إليه ذلك.
وإن نَفَقَ فيه الكذب والفجور والجور والخيانة، جُلب إليه ذلك.
والذي على ولي الأمر أن يأخذَ المال من حلِّه، ويضعه في حقه، ولا يمنعه من مستحقه

وكان عليّ بن أبي طالب ﷺ إذا بلغه أن بعض نُوَّابِه ظَلَم، يقول:

"اللهم إني لم آمرهم أن يظلموا خلقك، أو يتركوا حقك" . أهـ

ويقول أيضاً شيخ الإسلام في نفس المصدر صـ١٣٨ :

ومتى اهتمت الولاة بإصلاح دين الناس، صلح للطائفتين دينهم ودنياهم، وإلا اضطربت الأمور عليهم، وملاك ذلك كله حسن النية للرعية، وإخلاص الدين كله لله، والتوكُّل عليه فإن الإخلاص والتوكُّل جماع صلاح الخاصة والعامة، **كما أُمرْنا أن نقول في صلاتنا:**

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]

تنبيه:

هناك تصور مُختَلفٌ فيه بين العلماء، وهو من أين البداية:

- **فالبعض يقول**: إن بداية الإصلاح من جهة وقِبَلِ الحاكم – (أي الإصلاح يكون من أعلى)

كما كان الليث بن سعد – رحمه الله – يقول:

"من رأس العين يأتي الكدر، وإذا صفا رأس العين صفت السواقي"

كما قالوا: *"إذا صلَحت العينُ صلَحت سواقيها"*

وبفساد الأئمة والحكام يفسد الناس، وبصلاحهم يكون صلاح الرعية.

يقول شيخ الإسلام – رحمه الله – في كتابه "السياسة الشرعية" صـ ٣٦:

"وحُمِلَ مَرَّةً إلى عمر بن الخطاب ﷺ مالٌ عظيم من الخُمسِ، فقال: إن قوماً أدُّوا الأمانة في هذا لأمناء، فقال له بعض الحاضرين: إنك أدّيت الأمانة إلى الله تعالى، فأدُّوا إليك الأمانة، ولو رتعتَ رتعوا "

وكتب الحسن البصرى – رحمه الله – إلى عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ فقال له:

"الإمام العادل يا أمير المؤمنين، كالقلب بين الجوارح، تصلح الجوارح بصلاحه، وتفسُدُ بفساده."

قال بعض الحكماء:

"الناس تبعٌ لإمامهم في الخير والشر "

- **والبعض يقول**: إن الإصلاح يبدأ من الرعية (أي الإصلاح يكون من أسفل)

لأن الحاكم من نسيج الشعب، فإذا صَلح الشعب صَلح الحاكم، فالبداية من الرَّعية، والبناء يبدأ من أسفل، فإذا صلح الأساس صلح البناء، ***وقد مرَّ بنا الحديث:*** " **كما تكونوا يُولَّى عليكم**"

ويقول ابن القيم ــ رحمه الله ــ:

"أعمالكم عُمَّالكم، فإن وُلاتَنا من جنس أعمالنا"

وقال أبو حازم الأعرج ــ رحمه الله ــ:

"الإمام سُوق، فما نفق عنده جُلِب إليه".

- **والبعض الآخر يقول**: إن السلطان والرعية من نسيج واحد، فالإصلاح والصلاح يكون بهما معاً، إذ لا يستغني كلٌ منهما عن الأخر، وبصلاح أحدهما يكون صلاح الآخر، فهم كالجسد الواحد.

يقول كعب الأحبار ــ رحمه الله ــ:

مَثَلُ الإسلام والسلطان والناس، مَثَلُ الفسطاطِ والعمود والأطناب والأوتاد، فالفسطاطُ: الإسلام، والعمود: السلطان، والأطناب والأوتاد: الناس

ولا يَصْلُحُ بعضها إلا ببعض.

قال بعضهم:

لا يَصلحُ الناس فوضى لا سُرَاةَ لهم ... ولا سراةَ إذا جُهَّالُهم سادوا
والبيتُ لا يُبتنى إلا له عَمَدٌ ... ولا عمادَ إذا لم تُرْسَ أوتاد
فإن تجَّمعَ أوتادٌ وأعمدةً ... يوماً فقد بلغوا الأمر الذي كادوا

وأنا مع مَن يقول: إن بداية الصلاح والإصلاح تبدأ من أسفل، أي تكون منَّا نحن الرعية، فبصلاح الرعية يكون صلاح الراعي.

يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ كما في كتاب "مفتاح دار السعادة" (١/٢٥٣):

"وتأمَّلْ حِكمتَه تعالى في أن جعَلَ مُلوكَ العبادِ وأُمرائهم ووُلاَتهم من جِنس أَعمالِهم، بل كأنَّ أَعمالَهم ظهرَت في صُوَرِ وُلاَتهم ومُلوكِهم، فإن استقامُوا استقامَت مُلوكُهم، وإن عدَلوا عدَلَت عليهم، وإن جارُوا جارَت مُلوكُهم ووُلاَتُهم، وإن ظهَرَ فيهم المكرُ والخَديعةُ فوُلاَتُهم كذَلكَ، أمكر وأخدَعُ.

وإن منَعوا حُقوقَ الله لدَيهم وبَخِلوا بها منَعَت مُلوكُهم ووُلاَتُهم ما لهم عندهم من الحقِّ، وبَخِلوا بها علَيهم، وإن أَخَذوا ممَّن يَستضعِفونه ما لاَ يَستحقُّونه في مُعاملتِهم أَخذَت منهم المُلوكُ ما لاَ يَستحقُّونه، وضرَبَت علَيهم المُكوسَ والوَظائفَ، وليسَت الحِكمة الإلهيَّة أن يُولَّى على الأَشرارِ الفجَّارِ إلاَّ مَن يَكونُ من جِنسِهم، ولمَّا كانَ الصَّدرُ الأوَّلُ خِيارَ القُرونِ وأبرَّها كانَت ولاَتُهم كذَلكَ، فلمَّا شابُوا شابَت لهم الولاَةُ، فحِكمةُ الله تَأبَى أن يُولِّي علَينا في مِثل هَذهِ الأَوقات مِثلُ مُعاويةَ، وعُمرَ بنِ عَبدِ العَزيز، فَضلاً عن أبي بَكرٍ وعُمرَ، يقول ابن القيم: هذا وهو في القرن الثامن الهجرى - بَل ولاَتُنا على قَدْرنا، ووُلاَةُ مَن قَبلَنا على قَدرِهم، وكلٌّ من الأَمرَين مُوجبُ للحِكمةِ ومُقتَضاها، ومَن له فِطنةٌ إذَا سافَرَ بفِكرِه في هَذا البابِ رأَى الحِكمةَ الإِلهيَّةَ سائرَةً في القَضاءِ والقَدَرِ ظَاهرةً وبَاطنةً فيه، كما في الخَلقِ والأَمرِ سَواء"

فإيَّاكَ أن تظنَّ بظنِّك الفاسدِ أنَّ شَيئًا من أَقضيتِه وأَقدارِه عارٍ عن الحِكمةِ البَالغةِ، بل جَميعُ أَقضيَتِه تعالى وأَقدارِه وَاقعةٌ على أتمِّ وُجوهِ الحِكمةِ والصَّوابِ

لَكنَّ العُقولَ الضَّعيفةَ مَحجوبةٌ بضَعفِها عن إدراكِها كما أنَّ الأَبصارَ الخَفاشيَّةَ مَحجوبةٌ بضَعفِها عن ضَوءِ الشَّمس، وهَذهِ العُقولُ الضِّعافُ إذَا صادَفَها الباطِلُ صالَتْ فيه وجالَتْ ونطقَتْ وقالَتْ: كما أنَّ الخُفَّاش إذَا صادَفَه ظلاَمُ اللَّيل طارَ وسارَ . أهـ

فما تسلَّط الراعي على الرعية بالظلم والطغيان إلا بسبب ذنوب الرعية والبعد عن الرحمن

- **فإذا ركب الناس الذنوب سلَّط الله عليهم ولاة يضربون ظهورهم ويؤخذون أموالهم**

كما قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢٩]

قال الأعمش ـ وهو من كبار أئمة التابعين ـ سمعتهم يقولون:

"إذا فَسَدَ الناسُ أمَّرَ اللهُ عليهم شِرارَهُم " (رواه أبو الشيخ الأصبهاني، كما في كتاب "الدرُّ المنثور" للسيوطي:٣/٤٦)

وثبت في "الحلية"(٦/٥٩) عن العبد الصالح جيلان بن فروة – وهو من أئمة التابعين ـ قال: *"يُبعَثُ على الناسِ ملوكٌ بِذُنوبِهم "*

وفى الحديث الذي أخرجه الحاكم عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ أن النبي ﷺ قال: "إذا ظهر الرِّبَاَ والزنا بقومٍ فقد أحلُّوا بأنفسهم عذاب الله"

ــ وفى رواية أبي يعلى: "فقد أحلُّوا بأنفسهم عقاب الله"

وقد يعاقب الله هؤلاء الذين بارزوه بالزّنا والرِّبا أن يسلِّط عليهم مَن لا يرحمهم، وهذه مصيبة، لكن كانت بسبب ذنوبهم، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]

وجاء في "شعب الإيمان" للبيهقي عن عبد الله محمد بن إبراهيم بن حمش عن أبيه أنه كان يقول: *"اللهم بما كسبت أيدينا سلَّطت علينا مَن لا يعرفُنا ولا يَرْحَمُنَا "*

وقال ابن القيم ــ رحمه الله ــ:

"والذي شاهدناه نحن وغيْرُنا، وعرفناه بالتجارب: أنّه ما ظهرت المعازفُ وآلات اللهو في قومٍ، وفشتْ فيهم، واشتغلوا بها إلا سلَّط اللهُ عليهم العَدُوَّ، وبُلُوا بالقحْطِ والجَدْبِ ووُلاةِ السَّوْءِ "

(مدارج السالكين: ١/٥٠٠).

وأخرج ابن مــاجة والبيهــقي والحــاكم عن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – أن النبي ﷺ قال: "يا معشر المهاجرين خمسٌ إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين، وشدة المئونة، وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يُمْطَرَوا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلَّط الله عليهم عدوًّا من غيرهم، فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله، ويتخيَّروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم"

وأخرج ابن أبي حاتم عن إبراهيم قال:

"أوحى الله إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل أن قل لقومك: إنه ليس من أهل قريةٍ ولا أهل بيتاً يكونون على طاعة الله، فيتحولون منها إلى معصية الله، إلا حوّل اللهُ عنهم ما يحبون إلى ما يكرهون، ثم قال: أي تصديق ذلك في كتاب الله: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١] "

(ابن كثير: ٢/٥٠٤)

- **فهذه دعوة للصلح مع الله، حتى يُولِّي علينا مَن يُصلِح**

فكون الله تعالى يُولِّي علينا الأتقياء الأنقياء لا يكون بالتمنِّي، لكن بالرجوع إلى الله

فقد أخرج الإمام أحمد وأبو داود عن ابن عمر ــ رضي الله عنهما ــ أن النبي ﷺ قال:

"إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، وتبعتم الزرع، وتركتم الجهاد، سلَّط الله عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم"

وإذا رجعنا إلى ديننا رضي الله عنَّا، وعلامة هذا أن يُولِّي علينا خيارنا؛ ليحكموا فينا بالعدل جاء في كتاب *"الزهد" للإمام أحمد والبيهقي وذكره الذهبي في "سير أعلام النبلاء" عن قتادة:* "إن بني إسرائيل قالت لموسى عليه السلام: سلّ لنا ربك، فقل له: إنه في السماء ونحن في الأرض، فكيف نعرفُ غضبه علينا من رضاه عنا؟ فأوحى الله إلى موسى، قل لبني إسرائيل: إذا رضيتُ عليكم استعملت عليكم خياركم، وإذا غضبت عليكم استعملتُ عليكم شِرَارَكُم ".

وبعد...،

فهذا آخر ما تيسَّر جمعه في هذه الرسالة

نسأل الله أن يكتب لها القبول، وأن يتقبلها منَّا بقبول حسن، كما أسأله سبحانه أن ينفع بها مؤلفها وقارئها ومَن أعان على إخراجها ونشرها......إنه ولي ذلك والقادر عليه.

هذا وما كان فيها من صوابٍ فمن الله وحده، وما كان من سهوٍ أو خطأ أو نسيانٍ فمني ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا بشأن أي عمل بشري يعتريه الخطأ والصواب، فإن كان صواباً فادع لي بالقبول والتوفيق، وإن كان ثمّ خطأ فاستغفر لي

وإن وجدت العيب فسد الخللا جلّ من لا عيب فيه وعلا

فاللهم اجعل عملي كله صالحاً ولوجهك خالصاً، ولا تجعل لأحد فيه نصيب

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا والله تعالى أعلى وأعلم........

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك